رد السادات فى ٣٠٠ كلمة: حتى لاننظر وراءنا ونقول: هل كانت هذه التعقيدات ضرورية؟

أنيس منصور

أكتوبر

فى الدقيقة الأولى للقاء الرئيس السادات مع السفير الإسرائيلى د. بن اليسار قال السفير: سيادة الرئيس ليس عندى ماأشكو منه هذه المرة!..

وهو يشير بذلك إلى ما كان يشكو منه – دائما – من العزلة المفروضة عليه. وإلى أن خطوات تطبيع العلاقات بطيئة. وإلى أنه لم يجد شقة يسكنها حتى الآن. فقد استعرضت حرم السفير عشرات الشقق على النيل. وحاول السفير شراء فيلا شقير فى جاردن سيتى بمليون جنيه.. وحاول شراء بيت المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى بنصف مليون جنيه.. ويشير السفير أيضا إلى شكواه فى التليفزيون الإسرائيلى من الصحفيين المصريين ومن الصحفيين الإسرائيليين أيضا!..

إذن فلم يعد للسفير مايشكو منه. إما لاختفاء أسباب الشكوى. وإما لأن السفير قد اعتاد على هذا الجو الغريب. فأصبح مألوفا.. وإما لأن المناقشات بين مصر وإسرائيل قد اتخذت أعلى المستويات. بحيث يتضاءل إلى جوارها أى حوار آخر أو أية شكوى من أى نوع ومن أى أحد..

ولكن الرئيس السادات هو الذى كان لديه أكثر من شكوى. وقد استغرق حديث الرئيس السادات تسعين دقيقة. وقد وصف لى السفير الإسرائيلى هذا الحديث بأن الرئيس السادات متفائل. وأنه مؤمن بأنه لابد أن يكون هناك حل..

وقد عرض الرئيس السادات كل وجهات النظر وأبدى دهشته من سوء الفهم وسوء الظن لكثير مما يقال. وبأن الحكومة الاسرائيلية عصبية إلى أقصى درجة..

وكما توقفت المفاوضات. كان من الطبيعى أن تتوقف الرسائل أيضا بين الرئيس السادات والسيد بيجين. ولنفس السبب. فالمفاوضات أصبحت لغوية تدور حول نفسها ولاتنتقل إلى أرض جديدة. فهى تهتز ولاتتحرك. وإذا تحركت فمن الاسكندرية إلى الجيزة إلى هرتسلية. ولكن لاجديد يقال. ولا أمل أيضا. وهذا أحد المواقف الصعبة التى فرضتها اسرائيل. فقد كان التشدد وإضاعة الوقت وإيهام العالم كله بأن هناك نوعا من الجدية فى الوصول أو الحصول على شىء!..

ثم كانت القرارات العنيفة. والتحديات الاستفزازية لمصر وللعالم كله. وتوقفت المفاوضات. ولم تنقطع..

وجاء دور المفاوضات على الورق – أى الرسائل بين الرئيس السادات والسيد بيجين. وكان لابد مهما طالت أن تتوقف. فقد خلقت إسرائيل مواقف يصعب أن تتبادل الرسائل فى ظلها. وإلا كان ذلك نوعا من القبول بها. وفى الرسائل مافى المفاوضات أيضا: مناقشات لغوية – من جانب إسرائيل. وعبارات خطابية موجهة إلى الشعوب اليهودية فى كل مكان – من جانب إسرائيل أيضا.. وحساسية بلغت أقصى درجات سوء الفهم..

مثلا: عندما قال الرئيس السادات إن التاريخ اليهودى يبدأ من هنا. أى من مصر. وإنه يبدو أن قدر مصر هو أن تنهى هذا التاريخ هنا أيضا!..

جاء رد السيد بيجين: لا. ليس صحيحا. فتاريخ اليهود بدأ من مدينة أور فى العراق. ثم خرج إبرام – أى إبراهام أى إبراهيم عليه السلام – إلى أرض كنعان. وتوقف عند منطقة ايلون موريه.. الخ..

وتلك حقيقة تاريخية يعرفها أى تلميذ صغير درس تاريخ الحضارات القديمة. أو الهجرات الكبرى فى التاريخ. أو الأديان المقارنة – ولكن الذى قصده الرئيس السادات

ظروفا صعبة وضغوطا على المفاوض المصرى . لايمكن أن يتحملها . ولذلك جعلنا التوقف للتفكير الآن والتدبير بعد ذلك . شرطا لرؤية واضحة ومراجعة للحساب واستئنافا للدبلوماسية الهادئة .. أو للهدوء المفقود فى إسرائيل ! ..

ولكن لابد أن نتساءل لماذا كل هذا ؟ ..

هل يريد السيد بيجين أن يضغط على مصر وأن يحرجها وأن يدفعها إلى قطع المفاوضات . وكأننا لم نتفق على الحوار الذى تولاه ماكان اتفاق سلام ؟

إننا نعرف جيدا ماالذى كان يجرى على الألسنة وعلى الأقلام فى إسرائيل قبل مبادرة السلام .. كانت شعارات كثيرة : إسرائيل من النيل إلى الفرات .. وإسرائيل من القنطرة إلى القنيطرة .. وإسرائيل الكبرى .. وكانت حجة إسرائيل أنه لايوجد أحد نتحدث إليه .. ولكن مبادرة السادات أسقطت هذه الحجة . وكان الحوار والمفاوضات وفك الاشتباكات والاتفاقات والمراسلات .. وكان الوفاء بالوعد . بمنتهى الأمانة والشرف ..

د . بن اليسار : سيادة الرئيس ليست عندى شكوى هذه المرة !

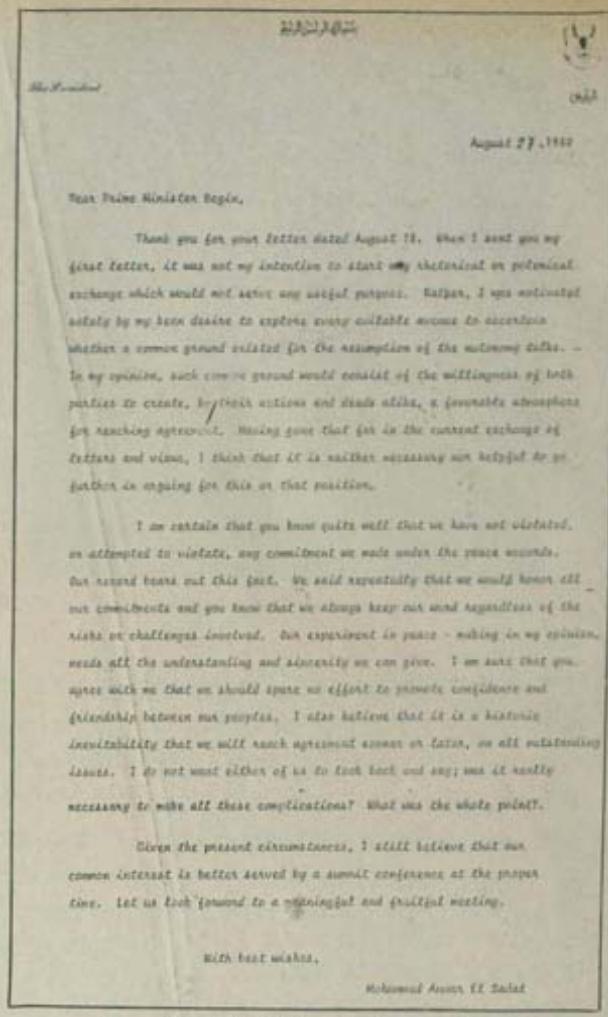

August 22, 1980

Dear Prime Minister Begin,

Thank you for your letter dated August 18. When I sent you my first letter, it was not my intention to start any rhetorical or polemical exchange which would not serve any useful purpose. Rather, I was motivated solely by my keen desire to explore every suitable avenue to ascertain whether a common ground existed for the resumption of the autonomy talks. - In my opinion, such common ground would consist of the willingness of both parties to create, by their actions and deeds alike, a favorable atmosphere for reaching agreement. Having gone that far in the current exchange of letters and views, I think that it is neither necessary nor helpful for us to further an ongoing for this or that position.

I am certain that you know quite well that we have not violated, or attempted to violate, any commitment we made under the peace accords. Our record bears out this fact. We said repeatedly that we would honor all our commitments and you know that we always keep our word regardless of the risks or challenges involved. Our experiment in peace - nothing in my opinion, needs all the understanding and sincerity we can give. I am sure that you agree with me that we should spare no effort to promote confidence and friendship between our peoples. I also believe that it is a historic inevitability that we will reach agreement sooner or later, on all outstanding issues. I do not want either of us to look back and say; was it really necessary to make all these complications? What was the whole point.

Given the present circumstances, I still believe that our common interest is better served by a summit conference at the proper time. Let us look forward to a meaningful and fruitful meeting.

With best wishes,

Mohamed Anwar El Sadat

الصفحة الأولى من رسالة الرئيس السادات إلى السيد مناحم بيجن

ولم يشأ أن يذكره لأنه يعرف وجيعة وفجيعة اليهود إذا أشار أحد إلى ذلك . فهو يقصد عذاب اليهود فى مصر واستعبادهم وخروجهم وراء موسى عليه السلام . وبداية الخروج من مصر ومن كل بلد آخر .. وبداية التيه والضياع والشتات فى سيناء وفى العالم كله .. وقصد الرئيس السادات أن يقول إنه بالسلام يمكن إنهاء العذاب التاريخى . وأن قدر مصر ، مرة أخرى ، أن تنهى الشتات والخوف التاريخى لإسرائيل ! ..

ولم يعلن الرئيس السادات فى رسالته الأخيرة التى لم تسلمها اسرائيل بعد ، عن الدرس التاريخى الذى سرده السيد بيجين ..

وفى رسالة للسيد بيجين استئناف لمناقشة عمرها ١٣ عاما عن الخلاف فى النص الإنجليزى لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ والترجمة الفرنسية لهذا القرار : جلاء القوات الإسرائيلية عن « الأرض المحتلة » .. أو عن « أرض محتلة » ..

ثم قرار ضم القدس العربية – أى أرض الغير بالقوة ، وفى ذلك مخالفة للقانون الدولى . ومهما قالت إسرائيل إن هذا القرار أصبح دستورا إسرائيليا . فهذا رأيها ، ولكنه لايلزمنا كمصريين . ولا يلزم العالم كله الذى احتج على قرار يعد خرقا للقانون الدولى ! ..

ومما قاله الرئيس السادات للسفير الإسرائيلى : ماالذى كسبته إسرائيل الآن ؟ كسبت عداوة مئات الملايين من المسلمين وألف مليون مسيحى .. ولم تكسب رضا ١٤ مليون يهودى أمريكى وأوربى .. وخسرت الصداقة التقليدية لأوربا .. فما كان أغنى رئيس وزراء إسرائيل عن هذا كله ..

ثم جاء العدوان على لبنان .. ومضت إسرائيل فى بناء المستوطنات .. كل ذلك وغيره من التصريحات والعبارات فى رسائل السيد بيجين ، خلق

رد السادات فى ٣٠٠ كلمة: حتى لا تنتظروا رأينا ونقول: هل كانت هذه التعقيدات ضرورية؟

هل هذا التشدد الإسرائيلى من الممكن أن يؤدى إلى إضعاف مصر ؟ فإذا حدث فما هى الفائدة التى تجنيها إسرائيل ؟ ! وإذا كان هناك بعض المتطرفين يتوهمون أنه يمكن – فى نفس الوقت – عزل مصر العربية المسلمة ذات الحضارة العريقة عن العالم العربى والإسلامى واقتلاعها من جذور طولها ستون قرنا ، ألا ترى هذا إمعانا فى الخرافة ؟ ..

هل هى حسابات حزبية فى إسرائيل ؟ هل هى المعركة الانتخابية التى بدأت سابقة لأوانها فى تل أبيب ؟ هل هى محاولات لأن يدخل السيد بيجين أنفه فى الانتخابات الأمريكية بعد أن امتنعت أمريكا عن التصويت ولم تستخدم حق الاعتراض ؟ ..

هل هو موقف موجه ضد يهود أمريكا الذين ضاقوا مما تسميه الإدارة الأمريكية ، العلاقة التقليدية الخاصة بين أمريكا وإسرائيل ، وأصبح هؤلاء اليهود الذين اجتمعوا أخيرا فى ، ندوة امن ، وأعلنوا أنه يجب أن تكون مصالح أمريكا فوق كل اعتبار .. وأن أمريكا لاتستفيد من إسرائيل شيئا إنما إسرائيل هى المستفيد الأول فى كل الظروف ! ..

وتساؤلات كثيرة تصعب الإجابة عنها فى هذا الوقت القصير الذى تستغرقه هذه السطور . ولكن الحقيقة المؤكدة أن إسرائيل تقف الآن وحدها ضد العالم كله . وترى أنها وحدها على حق . وأن البشرية على خطأ ! ..

وإن لم يكن ذلك جنونا بحتا ، فهو جنون العظمة . وفى كتب التحليل النفسى نموذج لذلك : أن رجلا مجنونا أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية . وزاره أحد الأطباء وتحدث إليه فوجده عقليا .

قال المريض : أنا أرى العالم كله غلطان . والعالم كله يرى أنى وحدى الغلطان . ولما كان العالم كله أقوى منى . فقد أدخلنى المستشفى . ولما كنت أضعف من العالم فلم أستطع أن أدخله المستشفى ! ..

ومن الظلم أن نقول إن هذا الذى اختلته حكومة إسرائيل يعبر عن كل آمال وأحلام الشعب ، أو الشعوب اليهودية فى كل مكان .. إنما جانب ضئيل من المتشددين يرون ذلك ..

ولكن يجب ألا ننسى أهم ما أسفرت عنه مبادرة السادات : أنه لا وسيلة إلا الحوار ..

لقد وضعنا السلاح ، ومعه سوء الظن والخوف والعداء والرفض الأعمى .. ويجب ألا يضيع هذا المكسب الهائل الذى هو تراث الأجيال من بعدنا ..

ولم تكن هذه الرسائل بين القيادتين المصرية والإسرائيلية إلا استمرارا للحوار ، ولكن بشكل آخر ..

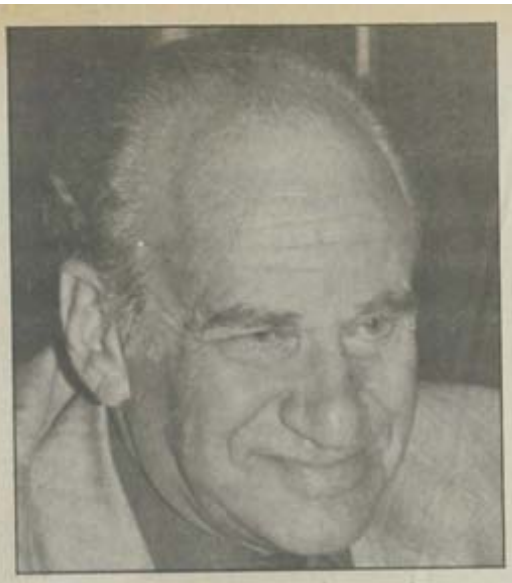

السيد اريه اليعاف : يجب أن يكون للشعب الفلسطينى دولة !

ولم يكن توقف هذه الرسائل إلا نوعا من البحث عن مدخل جديد للحوار .. هل بعد ذلك يكون حوار بين مصر وأمريكا .. وحوار بين إسرائيل وأمريكا ، ثم حوار بين الأطراف الثلاثة ..

وسوف يكون موضوع الحوار بسيطا جدا : إن قرار ضم القدس العربية إلى إسرائيل ، وهو حق تراه إسرائيل شرعيا ، ونراه نحن مخالفا لقرار مجلس الأمن واتفاقية كامب دافيد وخرقا للقانون الدولى ..

ولن نتعرض الآن لما سوف تتقدم به السيدة جيئولا كوهين من مشروع قانون أساسى بضم الجولان فى أكتوبر القادم .. ولن نتعرض لمشكلة شق قناة (٦١ ميلا) بين البحرين الميت والمتوسط مارة بأرض عربية محتلة – فذلك سابق لأوانه . كما أن إثارة قضية القدس قد قفزت من مكانها فى جدول مفاوضات الحكم الذاتى فسبقت زمانها بثلاث سنوات على الأقل ! ..

❀❀❀

إن فى إسرائيل وخارجها مدرسة فكرية ترى ما هو أوضح وأوقع ، يتزعم هذه المدرسة المفكر الحر « اريه اليعاف » . إنه يرى أن الصهيونية العالمية كقومية يهودية قد حققت هدفها ، بأن أقامت دولة للشعوب اليهودية . ومن حق القومية العربية الفلسطينية أن تحقق هدفها بأن تكون هى دولة . فيكون للفلسطينى علم وجواز سفر وعملة وبيت وأن يكون سيدا لمصيره ، كما أصبح اليهود تماما .

وفى محاضرات السيد اريه اليعاف فى جامعة برنستون أخيرا . طلب إلى تلاميذه على سبيل الرياضة العقلية والهندسة السياسية أن يفكروا معه فى مصير القضية العربية الإسرائيلية ، متسائلا :

ماذا يحدث لو استولت المنظمات الفلسطينية على كل فلسطين بما فيها إسرائيل وأصبح ياسر عرفات رئيسا للوزراء وقتل عشرات الألوف من اليهود ؟ ..

ويجيب : سوف يبقى ثلاثة ملايين يهودى ، يمارسون الإرهاب والقتل والتدمير ، بصورة أعنف مما يفعل الفلسطينيون ، وسوف يغتالون ياسر عرفات وينسفون مقر رياسة الوزراء ... الخ

ويتساءل : ماذا يحدث لو قامت سوريا الكبرى بضم لبنان والأردن وفلسطين . فكروا معى ! ..

وعندما أعلن السيد إلياف فلسفته هذه ، وكان سكرتيرا لحزب العمل على أيام جولدا مائير ، كان من الصعب أن يبقى فى موقعه ..

فقد كانت السيدة مائير لا ترضى بأن يكون الولاء لها أقل من ١٠٠٪ وقد اختلف معها ١٠٠٪ . ولكنه الآن يرى أن فى الأحزاب الإسرائيلية وبين الشبان وبين المحافظين من ينتسب إلى مدرسته الفكرية التى ترى : أنه لا سلام ولا أمن ولا أمان إذا لم تكن للشعب الفلسطينى دولة طال الزمن أو قصر ! ..

ياسر عرفات : لو جاء رئيساً للوزراء لاختفى اليهود

إن مثل هذا الاتجاه الواقعي حريص على إسرائيل نفسها : فلا بقاء لها ما دامت هذه القضية بلا حل . وماذا تكسب إسرائيل إذا فرضت التشرد الذى عانته على الشعب الفلسطينى الذى يسانده العالم كله . ولا يطلب أكثر من حقه الطبيعى فى البقاء ..

إن فلسفة السيد آريه الياف تستحق عظيم الاحترام والتشجيع .. قال لى السيد آريه إلياف منذ عامين فى مكتبى : إننى أنادى بهذه الفلسفة منذ سنة ١٩٦٧ ولكن بعض المتشددين فى إسرائيل يصفوننى بالإسراف فى الخيال .. ويظنون أننى مثل يوحنا المعمدان الذى وصفه الكتاب المقدس بأنه « الصارخ فى البرية » .. أى الصارخ فى الصحراء . فلا صوت ولا صدى عند أحد من الناس ! ..

ولكن السيد الياف يرى أن هذه تهمة واهية أيضا . فكل يوم ينضم إليه كثيرون .

بينما فى اسرائيل جانب متشدد مخالف يعتقد أن الرئيس السادات قد خدع إسرائيل . وانه أولا وأخيرا عدو مسلم . وأنه بعد أن يسترد أرضه سوف ينقلب على اسرائيل . وأن أكبر خدعة فى تاريخ اسرائيل هى أنها وافقت على أن يجىء الرئيس السادات ويلقى كلمة فى الكنيست . محطما بذلك كل حجج إسرائيل فى أن العرب لا يريدون السلام . ولا يريدون أن يتحدثوا معها .. وقد تحطم كل ذلك فى زيارة واحدة . ويرى هؤلاء المتشددون أيضا . أن مبادرة السادات قد فرقت اليهود فى إسرائيل . فقد كانت الحرب هى التى تجمعهم على رأى واحد وصف واحد وعدو واحد .. أما الآن فالسلام قد فرقهم .. فهناك من يؤمن بالسلام . وهناك من يتخوف منه . وهناك من يعاديه .. ويؤمنون بأن هذه هى أكبر كارثة حلت بإسرائيل ! ..

أما الشباب فى إسرائيل .. فيؤمن بالسلام ويؤمن بأن الذى كسبه بصداقة مصر . يجب ألا يخسره . وأن الزمن فى صالح السلام . كما أنه فى صالح الشباب الذين هم مستقبل إسرائيل ! ..

وهناك شرط ضرورى من أجل أن يتحقق أى هدف : أن نستمر فى تنمية ما يحقق صالح شعبنا . ولن تتحقق مصالح أى شعب إلا بالاستقرار والوضوح والاستمرار . وكل ذلك يحتاج إلى تشجيع أو خلق جو يشجع الجميع على المضى ..

ويرى السيد الياف أن الذى بلغناه حتى الآن هو : نصف الكوب .. نصف الزجاجة .. نصف البناء .. كأننا صحونا عند منتصف الليل على حلم مزعج . وأنه من الضرورى أن نكمل البناء والإناء والنوم الهادىء ..

كل ذلك باستمرار فى الحوار للاختلاف والاتفاق . فى يوم فى شهر فى سنة فى سنوات ..

❑❑❑

ولذلك جاءت رسالة الرئيس السادات التى سوف يبعث بها إلى السيد بيجين مختصرة فى ٣٣٠ كلمة . أكثرها عتاب على ما وصلت إليه لغة التراسل بينه وبين السيد بيجين ..

فالرئيس السادات يقول إنه لم يكن من أهدافه أن يدخل فى ملاحم خطابية لا تحقق هدفا . إنما كان دافعه الوحيد هو حرصه على استطلاع أى طريق يؤدى إلى أرض مشتركة للوقوف عليها . لاستئناف مفاوضات الحكم الذاتى .. ومثل هذه الأرض المشتركة تعتمد على إرادة الطرفين فى خلق الجو المناسب بالفعل . للوصول إلى اتفاق .

وبعد أن بلغ الطرفان فى التراسل وعرض وجهات النظر هذه المرحلة فليس من الضرورى ولا من المفيد المضى فى المناقشات اللغوية ..

كما أنه من المؤكد أن السيد بيجين على يقين من أن مصر لم تتخل أو تحاول . عن التزام قطعته على نفسها بمقتضى اتفاقية السلام . والأدلة ساطعة بكل ذلك ..

ويقول الرئيس السادات فى رسالته ..

« ولقد أعلنا مرارا أننا نحترم كل تعهداتنا . وأنت تعرف أننا نتمسك بكل كلمة قلناها . مهما كانت المخاطر والتحديات . وأنا على يقين من أنك توافقنى فى أنه يجب ألا ندخر وسعا لتدعيم الثقة والصداقة بين شعبينا . كما أننى أومن بأنها حتمية تاريخية أننا سوف نصل إلى اتفاق على كل القضايا عاجلا أو آجلا ولا أحب لأحد منا أن ينظر وراءه ليقول :

هل كان من الضرورى خلق كل هذه الصعوبات ؟ » ..

وفى ختام رسالة الرئيس السادات إلى رئيس وزراء إسرائيل ونظرا للظروف الراهنة أكد إيمانه بأنه « من الضرورى أن تكون قمة ثلاثية فى الوقت المناسب » .

فلا تكون شكوى فى إسرائيل من أن المصريين تراجعوا عن السلام .. أو عن تطبيع العلاقات .. وأن هذا التراجع « بتعليمات » من الحكومة !

ولكن أية حكومة ؟ ..

إنها الحكومة الإسرائيلية التى تستفز المشاعر وتصدم الرأى العام فى العالم كله . ثم تسوق الجميع إلى الشكوى من الضيق العالمى أو العداء العالمى ..

ربما ظن بعض المتطرفين أن العداء العالمى هو وحده الذى يوحد صفوف الشعب الإسرائيلى .. تماما كالحرب والخوف .. وفى ذلك رد على مبادرة السلام التى فرقت الآراء والاجتهادات فى إسرائيل ..

ولكن هذه الوحدة الإسرائيلية فى مواجهة العالم كله فادحة الثمن . إنها تذكرنا بحادثة عجيبة يرويها أبناء المدينة التى ولد فيها السيد بيجين ببولندا . يقولون إن حريقا شب فى المدينة . وسارع الناس جميعا لإطفاء هذا الحريق . لم يتخلف الأصدقاء والأعداء . المؤمنون والملحدون .. وعندما أطفىء الحريق تماما وقف الحاخام يقول لهم : إن هذا الحريق معجزة من السماء ! ..

فتلفت الناس فى دهشة بعضهم إلى بعض .. وهنا فاجأهم الحاخام قائلا : لولا هذا الحريق الذى أضاء لنا كل شىء . لكان من الصعب اطفاء هذه النيران فى هذه الليلة المظلمة ! ..

إن الحريق قد وحد الناس . وإن الحريق قد أضاء الليل للناس . ولكن كم كان الثمن فادحا ؟ ! ..

□